السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٢٧)

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى
1425هـ - 2005 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

هَيَّا إِلَى مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ

وَكَانَ كُلُّ مَنْ يُعْلِنُ إِسْلامَهُ في يَثْرِبَ عَلَى يَدِ المُقْرِىء مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رَضيَ الله عَنْهُ ؛ كَان يَشْتَاقُ إِلىٰ لِقَاءِ الرَّسُوْلِ صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ، لِذَلَكَ مَا إِنْ مَضَىٰ عَامٌ علىٰ بَيعَةِ العَقَبَةِ الأُوْلَىٰ حَتَّىٰ خَرَجَ مُصَعْبٌ مَعَ سَبْعِيْنَ مِنَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ رَضِيَ الله عَنْهُم .

وَكَانَ مَعَهُمْ امرأتانِ هُمَا : نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ ، وأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ .

وَكَانَ الاجْتِمَاعُ سِرِّيًّا ، حَتَّىٰ لا تَعْرِفَ قُرَيْشٌ ، فَتَمْنَعهُمْ مِنْ لِقَاءِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ، لِذَلِكَ اتَّفَقُوا مَعَ العبَّاسِ عَمِّ الرَّسُولِ عَلَىٰ تَوْقِيْتِ الاجْتِمَاعِ وَمَكَانِهِ .

يَرْوِي كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنْ ذَلِكَ اللِّقَاءِ ، فَيَقُولُ :

فَاجْتَمَعْنَا في الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسولَ الله ﷺ حَتَّىٰ جَاءَنَا وَمَعَهُ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلىٰ دِيْنِ قَوْمِهِ ، إلا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْن أَخِيْهِ ، وَيَتَوثَّقَ لَهُ ، فَلَمَّا جَلَسَ ، كَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الخَزْرَج! ـ قَالَ : وَكَانَتِ العَرَبُ إنَّما يُسَمُّونَ هَذَا الحَيَّ مِنَ الأَنْصَار الخَزْرَجَ ، خَزْرَجَهَا ، وَأَوْسَها ـ إنَّ مُحَمَّداً مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ

قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلىٰ مِثْلِ رَأْيِنَا فِيْهِ ، فَهُوَ في عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعةٍ في بَلَدِهِ ، وَإِنَّه قَدْ أَبَىٰ إلا الانْحِيَازَ إِلَيْكُمْ ، وَاللُّحُوقَ بِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ ؛ فَأَنْتُم وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ كُنْتُم تَرَوْنَ أَنَّكم مُسْلِمُوهُ ، وخَاذِلُوْهُ بَعْدَ الخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُم فَمِنَ الآنَ فَدَعُوهُ ، فَإِنَّه في عزٍّ ، وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ .

فَقَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ! سَلْ لِرَبِّكَ ، وَلِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ .

ثُمَّ أَخْبِرْنَا مَالَنَا مِنَ الثَّوَابِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَلَيْكُم إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : « أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنْ تَعْبُدُوهُ ، وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَأَسْأَلُكُم لِنَفْسِي ، وَلأَصْحَابِي أَنْ تُؤوونَا ، وَتَنْصُرونَا ، وَتَمْنَعُونَا مِمَّا مَنَعْتُمْ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ » .

فَقَالُوا : فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ ؟

قَالَ : « لَكُمُ الجَنَّةُ » .

وَقَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ : يَا رَسُولَ الله! اشْتَرِطْ عَلَيَّ .

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « تُبَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ تَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَـهَ إِلا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ الله ، وَتُقِيمُوا الصَّلاةَ ، وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، وَالسَّمْعِ والطَّاعَةِ ، وَلا تُنَازِعُوا الأَمْرَ أَهْلَهُ ، وَتَمْنَعُونِي

مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ » .

قَالُوا : نَعَمْ! هَذَا لَكَ يَا رَسُولَ الله! فَمَا لَنَا ؟

قَالَ : « الجَنَّةُ ، وَالنَّصْرُ » .

* * *

وَكَانَتْ بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَة

وَوَقَفَ البَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رَضِيَ الله عَنْهُ ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَجَاءَنَا بِهِ ، وَكَانَ أَوّلَ مَنْ أَجَابَ وَآخِرَ مَنْ دَعَا ، فَاجَبْنَا الله عَزَّ وَجَلَّ ، وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ ، وَالخَزْرَجِ! قَدْ أَكْرَمَكُمُ اللهُ بِدِيْنِهِ ، فَإِنْ أَخَذْتُمُ السَّمْعَ ، وَالطَّاعَةَ ، وَالمُوازَرَةَ بالشُّكْرِ ، فَأَطِيْعوا اللهَ ، وَرَسُولَهُ ، ثُمَّ جَلَسَ البَرَاء .

وَأَرَادَ أَبُو الهَيْثَمِ بْنِ التَّيهَانِ أَنْ يَكونَ أَوَّلَ المُبَايِعِيْنَ ، فَوَقَفَ ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ الله! إِنَّ

بَيْنَنَا وبَيْنَ النَّاسِ حِبَالاً ـ أَي : مَوَاثِيْقَ ، وَأَحْلافاً ـ فَلَعَلَّنا نَقْطَعُها ، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلىٰ قَوْمِكَ ، وَقَدْ قَطَعْنَا الحِبَالَ ، وَحَارَبْنَا النَّاسَ فِيْكَ ؟! فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَالَ :

« الدَّمَ الدَّمَ ، والهَدْمَ الهَدْمَ » .

فَلَمَّا رضي أَبُو الهَيْثَم بِمَا رَجَعَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ ؛ أَقْبَلَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ، فَقَالَ : يَا قَوْم! هَذَا رَسُولُ الله حَقّاً ، أَشْهَدُ بِاللهِ أَنَّهُ لَصَادِقٌ ، وَأَنَّهُ الْيَوْمَ في حَرَمِ اللهِ ، وَأَمْنِهِ بين ظَهْرَيْ قَوْمِهِ ، وَعَشِيْرَتِهِ ، فَاعْلَمُوا : أَنَّكم إن تُخْرِجُوْهُ تَرْمِكُمُ العَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، فَإِنْ كَانَتْ طَابَتْ أَنْفُسُكُمْ بِالقِتَالِ في سَبِيْلِ اللهِ ، وَذَهَابِ الأَمْوَالِ والأَوْلادِ ؛ فَادْعُوهُ إِلىٰ أَرْضِكِمْ ،

فَإِنَّهُ رَسُولُ الله حَقّاً ، وَإِنْ خِفْتُمْ خُذْلانَهُ فَمِنَ الآنَ .

فَقَالَ عَبْدُ الله : قَبِلْنَا عَنِ الله ، وَعَنْ رَسُوْلِ اللهِ ، فَخَلَّ بَيْنَنَا يَا أَبَا الهَيْثَمِ وَبَيْنَ رَسُوْلِ اللهِ فَلْنُبَايِعْهُ .

وَرَاحَ الأَنْصَارُ يُبَايِعُوْنَ الرَّسُولَ ﷺ وَاحِداً تِلْوَ الآخَرِ ، حتَّىٰ إِذَا ما انْتَهىٰ الرِّجَالُ مِنَ البَيْعَةِ ؛ قَالَ أَحَدُهُمْ : يَا رَسُولَ الله! هَاتَانِ امْرَأَتَانِ حَضَرَتَا مَعَنَا تُبَايِعَانِكَ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام : « قَدْ بَايَعْتُهُما عَلَىٰ مَا بَايَعْتُكُمْ عَلَيْهِ ، إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّسَاءَ » .

* * *

مَا هُوَ نَصُّ البَيْعَةِ ؟

لَـٰكِنْ يَا أَحِبَّتِي البَرَاعِمَ! أَتَدْرُوْنَ مَا هُوَ نَصُّ البَيْعَةِ ؟

لَقَدْ سَأَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الَّذِيْنَ حَضَروا البَيْعَةَ ـ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنْ ذَلِك .

فَأجَابَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ مَعَنَا إِذْ بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ ، إِنَّا بَايَعْنَاهُ عَلى السَّمْعِ ، والطَّاعَةِ في النَّشَاطِ ، وَالكَسَلِ ، وَعَلَىٰ النَّفَقَةِ في اليُسْر ، وَالعُسْرِ ، وَعَلىٰ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْي عَنِ المُنْكَرِ ، وَعَلىٰ أَنْ نَقُولَ الحقَّ في الله تَبَارَكَ وَتَعالىٰ ، ولا نَخَافَ لَوْمَةَ لائمٍ فِيهِ ، وَعَلَىٰ أَنْ

نَنْصُرَ النَّبيّ ﷺ إذَا قَدِمَ عَلَيْنَا يَثْرِبَ ، فَنَمْنَعَه مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا ، وَأَزْوَاجَنَا ، وَأَبْنَاءَنا ، وَلَنَا الجنَّةُ .

فَهَـٰذِهِ بَيْعَةُ رَسُولِ الله ﷺ ؛ الَّتي بَايَعْنا عَلَيْهَا ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ .

* * *

وَجُنَّ جُنُونُ قُرَيْشٍ!!

وَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ بَيْعَةِ العَقَبَة الثَّانِيَةِ إلىٰ أَهْلِ مَكَّـةَ ؛ كَـادُوا أَنْ يَفْقِـدُوا رُشْـدَهُـم ، فَـرَاحُـوا يُهدّدون ، وَيَتَوَعّدُونَ ، ثُمَّ تَشَاوَرُوا فِيْمَا بَيْنَهُمْ وقرّروا أن يُرسِلُوا وَفْداً إلى يَثْرِبَ ، وذلك بِهَدَفِ مُعاتَبَةِ الأَوْسِ والخَزْرَجِ لِما فَعَلَهُ بَعْضُهُمْ! .

وَبالفِعْلِ أَرْسَلُوا وَفْداً إلى يَثْرِبَ ، وهناكَ كانتِ المُعَاتَبَةُ!

ذَكَرَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ طَرَفاً مِمَّا جَرىٰ في هذا اللِّقاءِ ؛ فَقَالَ :

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا ؛ غَدَتْ جُلَّةُ قُرَيْشٍ[1] حَتَّىٰ جَاؤونا في مَنَازِلِنا ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ ، إِنَّه قَدْ بَلَغَنا أَنَّكُم قَدْ جِئْتُم إِلىٰ صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُوْنَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا ، وَتُبَايِعُوْنَهُ عَلَىٰ حَرْبِنَا ، وَإِنَّه وَاللهِ! مَا مِنْ حي مِنَ العَرَبِ أَبْغَضَ إِلَيْنَا أَنْ تَنْشِبَ الحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهم مِنْكُمْ .

* * *

(١) أي : عظماؤها .

إِلَىٰ يَثْرِبَ مَرَّةً أُخْرَىٰ

وَهَكَذا كَانَتْ بَيْعَةُ العَقَبَةِ في شَهْرِ ذي الحِجَّةِ ، أواسِطَ أيَّامِ التَّشْرِيقِ ، أَي : قَبْلَ قُدُومِ المُهَاجِرِيْنَ إلىٰ يَثْرِبَ بِثَلاثَةِ أَشْهُرٍ .

وَبَعْد فَتْرَةٍ تَبَيَّنَ جَدْوَىٰ مَا حَقَّقَهُ المُسْلِمُونَ مِنْ بَيْعَةِ العَقَبَةِ الأُولىٰ والثَّانِية ؛ حَيْثُ حَافَظُوا عَلَىٰ عَقِيْدَتِهم ، وَتَخَلَّصُوا مِنْ أَذَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ...!

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

* * *